

العلاقة بين المنهج الكمي والكيفي مع تعريف لكل منهج ومميزاته وعيوبه واستخداماته

بندر ناهي مخلف المطيري

قسم الدراسات الاجتماعية بكلية الآداب جامعة الملك سعود

## ملخص البحث:

غالبًا ما يكون من الصعب اختيار تصميم للبحوث بين المنهج الكمي والنوعي ومدى العلاقة بينهما. ومع ذلك.

فإن هذه الدراسة تسعى إلى بين مدى العلاقة بين المنهج النوعي والكمي في البحث الاجتماعية ومميزات كل النوعين وعيوبهما.

وكيفية استخدامهما في المجال البحث الاجتماعي وكيف يتميز بها البحث الكمي هو أسلوب يضع استنتاجات ذات دلالة إحصائية عن مجتمع من خلال دراسة عينة تمثل ذلك المجتمع. البحث الكيفي هو وسيلة للبحث والتقصي المعتمدة في مجال العلوم الاجتماعية والتربوية، وفي أبحاث السوق. يهدف الباحثون باستخدامها إلى التعمق في فهم سلوك الإنسان، والأسباب التي تحكم هذا السلوك.

## مقدمة:

لقد كان هناك نقاش واسع النطاق في السنوات الأخيرة في العديد من العلوم، لا سيما العلوم الانسانية والاجتماعية، بشأن مزايا الجمع بين المناهج الكمية والنوعية في البحوث. وقد تباينت المواقف التي اتخذها الباحثون، فمن هؤلاء من رأى أن المناهج الكمية منفصلة عن المناهج الكيفية تماما، أي أنه لا يمكن للباحث أن يخلط بين المناهج الكمية والنوعية في إطار دراسة واحدة. بينما جاء موقف البعض الآخر على النقيض من ذلك، فقد ظهرت دعوى من العديد من الباحثين الذين يعتقدون أن استخدام المناهج الكمية إلى جانب المناهج الكيفية في المشاريع البحثية، تعد من المتطلبات البحثية لإعداد دراسات وبحوث أكثر قيمة ومصداقية. ومن هؤلاء الباحث البريطاني (ألان بريمان، وجوليا برينان) الذي رأوا أن الجمع بين المناهج النوعية والكمية أفضل من استخدام كل منها

على حدّ.

وفي إطار استكشاف قضايا البحوث النوعية والكمية، ومختلف الأشكال النوعية والكمية، يبدو أن هناك حاجة إلى النظر في مختلف الأسئلة الأنطولوجية والمعرفية. التي تستند عليها البحوث الكمية التي تميل إلى استخدام على نطاق واسع الاستبيانات، للقيام بالتحليل الاحصائي لعوامل الارتباط، الانحدار، والتباين، وغيرها، كأسلوب بحثي. إلا أن الأمر في النهاية منوط بالباحث واختياره للمناهج الأنسب التي تساعد على تحقيق أهدافه البحثية؛ ولذا رأى الباحث أن يسلط الضوء في العلاقة بين المناهج الكمية والكيفية.

### مشكلة البحث:

للبحث الاجتماعي أساليب عدة في مجال التربية استخدمت من قبل الباحثين في أدياتهم وبحوثهم، وفي إطار مشكلة البحث وحصرة في مجال الاجتماعي ثم إتباع الأساليب التالية (الكمي - الكيفي) وقد اهتم الباحث بدراسة هذا الموضوع وعده مشكلة بحثية بغية التعرف على واقع هذه الدراسات السابقة في مجال الاجتماعي من الجانبين الكيفي والكمي ومن ثم التعرف على مدى العلاقة بين المنهج الكمي والكيفي في البحوث الاجتماعية ومعرفة أهم المعايير المعتمدة في اختيار أسلوبين في البحوث الاجتماعية.

### أهداف البحث:

١- التعرف بالأسلوبين الكمي والكيفي في البحث وخصائص كل منهما وظروف استخدامهما في البحوث الاجتماعية.

٣- تقديم بعض المقترحات التي قد تسهم في تحسين التوجهات الحالية للبحوث الاجتماعية وعلى ذلك فإن الدراسة الحالية تطرح عددا من الأسئلة وتجب عليها وهي:

١- ما المقصود بالمنهج النوعي الكمي؟

٢- ما مدى العلاقة بين المنهج الكمي والكيفي في البحوث الاجتماعية؟

## مناهج البحث في العلوم الانسانية والاجتماعية

يعود مفهوم النهج في البحوث الأكاديمية إلى مجموعة الخطط والإجراءات البحثية، التي تستند الخطوات فيها على الافتراضات، وجمع البيانات، التي يتم تحليلها وتفسيرها، والتي تتضمن العديد من القرارات، من أجل تنظيمها، ترتيبها، وعرضها. وينطوي القرار على المنهج الذي ينبغي استخدامه لدراسة موضوع البحث. وإجراءات التحقيق وهو ما يطلق عليه مسمى (تصميم البحوث) والتي هي عبارة عن خطة تبين الكيفية التي سيتم بها جمع البيانات والمعلومات.

ولقد قدمت تعريفات عديدة لمفهوم المناهج في البحث العلمي ومن أهمها، أن المناهج هي: " هي الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها.

إذ يستند اختيار نهج البحث أو الدراسة على طبيعة مشكلة البحث أو المسألة التي يجري تناولها، والتجارب الشخصية للباحث، بالإضافة إلى طبيعة وخصوصيات مجتمع الدراسة. لذا فإنه من المتفق عليه أن المناهج أو طرق البحث عن الحقيقة تختلف باختلاف المواضيع. (الجوهرى، ٢٠١١، ص ٦٧).

## مفهوم المنهج الكمي والكيفي

### المنهج الكمي:

المنهجيات الكمية هي تلك التي يقترح تطبيقها في الحقول والموضوعات التي تتمتع بخصائص ثلاث: قابلية الملاحظة، سببية واضحة، وموضوعية عالية - ولا نقول تامة الخصائص تلك هي ما يميز موضوعات اور مواد العلوم التجريبية (على أن نضع جانبًا العلوم الرياضية والمنطقية). وتبعًا لذلك يجري إطلاق اسم المناهج التجريبية (أو الإمبريقية على تلك التي يُقترح أو يمكن تطبيقها على مادة أو موضوعات العلوم تلك.

أولى المساهمات التاريخية في تصميم منهج تجريبي وضعي غير ذاتي هو ما قام فرنسيس بايكون في ثلاثينات القرن السابع عشر حين وضع قواعد علمية ملموسة لكيفية ملاحظة أو مراقبة ظاهرة ما

على نحو موضوعي وعلمي، وقد وضع جداول لحضور الظاهرة، لغيابها، أو لحضورها في درجات، إلى شروط أخرى وضعت الأساس للمنهج الكمي التجريبي الحديث.

بعد مساهمة بايكون، تأتي مساهمة جون ستيوارت مل. وقد اقترح خمسة مناهج في أية مقارنة علمية كمية سببية لعلاقة ظاهرة بظاهرة أخرى منهج الاتفاق، منهج الافتراق، منهج الاتفاق والافتراق معًا، منهج البواقي، ومنهج التغيرات المترافقة (أتي سلسلتان من العلل والمعلولات).

أما تحويل مناهج البحث في العلوم الاجتماعية إلى مناهج علمية ذات نتائج موضوعية فهو بعض ما ابتكره أوغست كونت في أربعينيات القرن التاسع عشر، حين زعم - متأثرًا بنجاحات العلوم الطبيعية ونتائجها شبه الدقيقة - أنه بالإمكان مقارنة الظاهرة الاجتماعية على نحو علمي كمي. وأهم من تابع الخط العلمي الكمي هذا هر كلود برنارد عند نهاية القرن التاسع عشر ومطلع العشرين.

تستخدم مناهج البحث الكمي في العلوم الطبيعية والاجتماعية وعلى نحو أقل في العلوم الانسانية (التاريخ، الفلسفة، الأخلاق، الدينيات، الفنون، إلخ) (شيئا، ٢٠١٩، ص ٦).

### تعريف المنهج الكمي:

وتعريف منهج البحث الكمي فيجري باعتباره "البحث التجريبي المنهجي لظاهرة يمكن ملاحظتها على نحو ما، وتكميمها بواسطة أدوات إحصائية أو رياضية، أو بواسطة تقنيات الكمبيوتر". يعتمد المنهج الكمي على القيام بالبحث بشكل عملي من خلال استخدام الإحصاءات، والاستبيانات للحصول على النتيجة المطلوبة، إذ يهتم بجمع النتائج، والبيانات، ويعرف المنهج الكمي بأنه بحث يستند من خلاله الباحث على الظاهرة الاجتماعية من خلال اتباع عدد من الأساليب الإحصائية، وعن طريق هذا المنهج يمكن الربط بين الملاحظة التجريبية والبحث الكمي، وذلك من خلال القياس، ولكي يتأكد الباحث من صحة المقاييس التي يستخدمها فعليه استخدام مقاييس الصدق والثبات، كما أن استخدام المنهج الكمي يتطلب منه تعريف المفاهيم التي سوف يستخدمها

في بحثه العلمي، بهدف اختيار الفرضيات التي تحدد من بداية البحث، ثم البدء بمرحلة جمع البيانات وترتيبها، وتحليلها تحليلاً إحصائياً للوصول إلى النتائج المرجوة. (العزاوي، ٢٠١٧، ص ١٠٠).

وفي هذا الباب نقول أخيراً إن الكمي لا يستنبط الأفكار هو فقط يؤكد أو يدحض فكرة ما حصلنا عليها من مصادر مختلفة.

### مميزات البحث الكمي:

- يتميز المنهج الكمي بأنه مناسب لعدد كبير من العلوم والمجالات كعلم النفس، والاقتصاد، والتسويق، وغير ذلك من المجالات.
- تختبر البحوث الكمية المتغيرات التجريبية، كما تحدد من ظهور المتغيرات الاعترافية.
- يعد المنهج الكمي المنهج الأفضل لدى كثير من الباحثين في حال توفر معلومات عديدة عن الموضوع الذي يجب دراسته.

### عيوب المنهج الكمي:

من أهم عيوب المنهج الكمي التحيز والبعث عن الحياد، حيث يعد المنهج الكمي من المناهج التي قد يتحيز الباحث خلالها إلى الظاهرة التي يقوم بدراستها، كما أنه قد يتعرض لأخطاء في القياس والمعينة: (درويش، ٢٠٠٤، ص ٧٤).

### المنهج الكيفي:

(أو النوعية كما نقول أحياناً) ما أود التركيز عليه في هذه المقالة هو المناهج والمنهجيات الكيفية، لا الكمية.

أما السبب فلأن الدراسات التي تتناول هذا الباب من المنهجيات ليست وفيرة، مع أنها أقرب إلى المادة التي تشكل منها العلوم الإنسانية وبعض العلوم الاجتماعية إذ لكل علم، أو حقل اختصاص، مادته الخاصة. وطبيعة مادة العلم هي التي تحدد على نحو ما طبيعة المنهج والأدوات التي تلائم هذه

المادة ومواصفاتها. إذ كيف تستخدم التجربة في حقل لا يمكن إخضاعه بسهولة للتجربة والاختبار. أو كيف تستخدم القياس أو الكم في موضوعات لا يمكن قياسها أو تكميمها. الأسباب غير الظاهرة لفعل اجتماعي أو مثلاً، قوة التقاليد والقيم كدافعين لسلوك فرد أو جماعة. هذه الصعوبات هي التي دفعت العلماء إلى طلب منهجيات مختلفة عما تعودنا تقليدياً، أو ما أطلق عليها: المنهجيات الكيفية المتميزة عن المنهجيات الكمية. والفارق واضح، في الثانية الكمّ (أو الرقم) هو الأساس، أما في الأولى فالنوعية أو الكيفية هي الأساس، المنهج الكيفي مجال بحثي جديد تقريباً، انطلق ببطء في النصف الثاني من القرن العشرين، ثم تسارع تطوره في العقود الثلاثة الأخيرة، فبات له أدبيات، ومجالاته العلمية، ومؤتمراته، واختصاصيون كذلك. وأدواته لم تستقر بعد، وهناك باستمرار كلام على أدوات وتقنيات جديدة تستخدم في المناهج الكيفية. أما الحقول التي تستخدم المناهج الكيفية (كلياً أو جزئياً) فكثيرة ومنها بعض مجالات علم النفس (التحليل النفسي خصوصاً)، الأنثروبولوجيا، الاثنولوجيا، العمل الاجتماعي، الدينيات، علم الأخلاق، الفنون، وكل حقل لا يمكن قياس أو تكميم ظاهراته وموضوعاته ونتائجه. (شيّا، ٢٠١٩، ص ٠٧).

### أنواع المنهج الكيفي:

أنواع المناهج الكيفية كثيرة، متشعبة، وأحياناً غير محددة بدقة، وهي تزداد تشعباً، نظراً للوزن الشخصي الذي يلعبه الفرد الذي يمارس البحث الكيفي، ولكن على وجه الإجمال فإن التصميم الأولي للبحث الكيفي يتقدم عموماً وفق الترتيب التالي:

- \*مراجعة أدبيات المشكلة موضوع البحث تعيين الإطار النظري للبحث.
- \*تحديد فرضيات البحث، بعد جولة استكشافية أولى.
- \* اختيار خطة البحث، وتحديدًا تقنيات جمع المعطيات بحسب المادة والموضوع والحالة تحليل المعطيات المجمعة.

\* مقاطعة النتائج على الفرضيات، وبلوغ بعض النتائج (مؤكدة أو مكذبة للفرضية).

\* التحقق منها بالمزيد من التقاطع والترابط والمقارنة والاختبارات المتنوعة كتابة تقرير متقن (مع التنبّه لأية حساسيات أخلاقية كان تجمع معطيات قسرًا ...)

كذلك من الضروري العمل على توفير أفضل صياغة للمشكلة ولفرضيات البحث. فالصياغة المنطقية الواضحة تساعد في اختيار خطة البحث المناسبة وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بانتقاء العينة، وفي جمع المعطيات، وتحليلها، وهي الخطوات العملائية التي لا غني عنها في إنجاز البحث.

**هناك ثلاث تقنيات رئيسية في جمع المعطيات والمعلومات في أي منهج بحث كفي:**

- ١ - **الملاحظة**، والتي تتحول إلى مراقبة حين تصبح قصدية. والملاحظة تتدرج من مجرد ملاحظة عفوية عارضة إلى ملاحظة تصدية، حيث يكون الباحث مجهزًا بأدوات ضرورية للملاحظة وتسجيلها، من دفتر الملاحظات note book إلى الوسائل التقنية الحديثة حين يكون ذلك ممكنًا. وقد يكون تسجيل الملاحظة المباشرة ممكنًا، بوجود مسافة ما، أو لاحقة، أن تكون بالمشاركة والانغماس في العملية البحثية - كما في البحوث الأنثروبولوجية والسيكولوجية.
- ٢ - **المقابلة**، وهي على أنواع كما هو معروف، ويمكن تصميمها في ضوء المشكلة موضوع البحث.

- ٣ - **الوثائق**، هي مصدر رئيسي للمعطيات في المنهج الكيفي. قد تكون مدية، يمكن ملاحظتها وتسجيلها، مكتوبة، أو شفاهية أحيانًا، بقايا، أو لُقي، أو بيانات وسجلات من كل نوع إلى الأدوات الثلاث أعلاه، نضيف؛ لأن المطلوب في كل المقاربات جمع معطيات ذات صدقية تفي بالغرض من البحث (الجهة الوصف الموضوعي للظاهرة) بغية الوصول إلى نتائج ذات صدقية، يمكن الوثوق بها، والبناء عليها؛ ولأن الموضوعات والمشكلات هي غالبًا متشابكة، متداخلة، وعلى غير ما تظهر للوهلة الأولى، وبخاصة في البحوث النفسية والتربوية والسوسيولوجية والإنسانية، تبدو تقنية دراسة الحالة case study الأكثر قدرة على تفكيك خيوط الظاهرة موضوع البحث في العلوم



الاجتماعية والنفسية والتربوية هي الأداة الأصلية المشتركة في كل مقارنة لموضوعات الميادين تلك،  
والباقي تنوع أو إضافة للأصل. (جلبي، ٢٠٠٤م، ص ١٢).

### خصائص المنهج الكيفي:

يتميز المنهج الكيفي، بمجموعة من الخصائص المختلفة التي يمكن توضيحها على النحو

#### التالي

لعل أهم ما يميز منهج البحث الكيفي هو جدلية الأصالة، أصالة في الاقتراب من المبحوث، وأخرى  
من الواقع.

يعتمد المنهج الكيفي بشكل أساسي على إدراك الموضوع وتفسيره، وعند تطبيقه يجب على الباحث  
أن يتعرض لموقف بشكل مباشر.

يعتمد المنهج الكيفي بشكل أساسي على إدراك الموضوع وتفسيره، وعند تطبيقه يجب على الباحث  
أن يتعرض للموقف بشكل مباشر ليلاحظه ويجمع البيانات عنه؛ وذلك عن طريق الملاحظة المستمرة  
إما عن طرق حضور اجتماعات أو التواجد في أماكن تجمع أفراد العينة.

يحلل البيانات بطريقة استدلالية وأن يهتم بمشاعر الأفراد ومداركهم للمجالات الحياتية وقيمهم التي  
يدركونها وليس كما يدركها الباحث.

احترام الثقافة المحلية مع تقويمها من زاوية وظيفتها لهم لا من زاوية ثقافة أخرى دخيلة.

احترام القواعد التشريعية في إجراء البحوث خلال استخراج التصاريح والالتزام بضوابطها.

### مميزاته المنهج الكيفي:

• يتميز المنهج الكمي بأنه مناسب لعدد كبير من العلوم والمجالات كعلم النفس، والاقتصاد،

والتسويق، وغير ذلك من المجالات.

• نشأ المنهج الكمي في المدرسة الوضعية، فمن خلال العلاقة بين المتغيرات يتمكن الباحث

من تحديد الأسباب، واستخراج النتائج، والتنبؤ بالمستقبل.

- تختبر البحوث الكمية المتغيرات التجريبية، كما تحد من ظهور المتغيرات الاعترافية.
- يعد المنهج الكمي المنهج الأفضل لدى كثير من الباحثين في حال توفر معلومات عديدة عن الموضوع الذي يجب دراسته.

### عيوب المنهج الكيفي:

- من أهم عيوب المنهج الكمي التحيز والبعد عن الحياد، حيث يعد المنهج الكمي من المناهج التي قد يتحيز الباحث خلالها إلى الظاهرة التي يقوم بدراستها، كما أنه قد يتعرض لأخطاء في القياس والمعاينة.

### أدبيات المنهج الكيفي:

على الباحث في أدبيات البحث الكيفي أن يلتزم بأخلاقيات البحث وهي:

١. الصدق العلمي (الانحياز العلمي بإيجابيات وسلبياته).
٢. المبحوثين في البحث الكيفي غالبًا ما يكونوا عينة مقصودة (عمدية)، تكون محدودة العدد.
٣. مجتمع البحث يقصد بمجتمع البحث الكيفي " جميع الأفراد أو الأشخاص أو الأشياء الذين يُكونون موضوع مشكلة البحث، وهو أيضا المجموعة الكلية من العناصر التي يسعى الباحث إلى أن يعمم عليها النتائج ذات العلاقة بموضوع البحث. (عيشور، ٢٠٠٤، ص ١).

### أوجه الاختلاف بين المنهج الكمي والمنهج النوعي:

- يلجأ البحث الكيفي للملاحظة المتفاعلة، والمقابلة الشخصية المتعمقة، أما بالنسبة للبحث الكمي فإن الباحث يقوم بتجهيز الأسئلة سابقاً، حيث يكون نمط الأسئلة تقليدياً.
- يهدف المنهج الكيفي إلى فهم الظاهرة ضمن إطارها، ولا يهتم بتعميم النتائج، بينما يقوم البحث الكمي بقياس الظاهرة، وتحليل بياناتها لاستخراج النتائج وتعميمها.

- يفسر البحث الكيفي الظواهر بأسلوب إنشائي، بينما يعتمد البحث الكمي على تفسير الظواهر باستخدام الطرق الرقمية والإحصائية.
- تكون العينة في المنهج الكيفي عينة مختارة من قبل الباحث، بينما تكون العينة في المنهج الكمي عشوائية.
- قد ينحاز الباحث في المنهج الكيفي إلى جهة من جهات الدراسة، بينما يلتزم المنهج الكمي بالخطوة الموضوعية بشكل مسبق.
- يستطيع الباحث أن يستخدم البحثين معا فيدمجهما.
- يكون الباحث الكيفي قريباً من مجتمع الدراسة، فيجمع المعلومات بشكل مباشر، ويحللها، ويبقى معهم طيلة فترة الدراسة، أما الباحث الكمي فيأمكنه العمل في المختبر، حيث يجري المقابلات في مكان محدد مسبقاً.
- الباحث في المنهج الكيفي هو الذي يقوم بإجراء المقابلات مع الأشخاص بشكل مباشر، ويتفاعل معهم، ويعمل في مجال الدراسة، بينما الباحث في البحث الكمي قد يرسل الاستبيانات إلى أماكن، متباعدة لتصل إليه الإجابات فقط.
- يحتاج البحث الكيفي وقتاً أطول في تحليل البيانات، نظراً لتداخلها، بينما تتم عملية جمع البيانات، وتحليلها في المنهج الكمي في وقت أقل. (أحمد علي، ١٩٩٧م، ص ٩١).

### اعتبار البحث الكيفي من البحوث المناسبة للمجتمعات التقليدية التي تتصف بالانغلاق الثقافي:

يعتبر البحث النوعي من البحوث المناسبة للمجتمعات التقليدية التي تتصف بالانغلاق الثقافي، وذلك لأن البحث النوعي يستخدم لدراسة الظواهر والحالات التي لا تتوفر عنها معلومات وافية، أو لمعرفة أشياء جديدة عن حالات يطلب التعمق فيها، بغرض دراستها لاحقاً بأسلوب كمي ثاني،

مكمل للأسلوب النوعي الأول. ويطلق بعض الكتاب على هذا النوع البحث الاستطلاعي:

(العداوي، ٢٠٠٥م، ص ٥٦)

### استخدام البحث الكيفي في المجتمعات المعقدة مناسب:

١. يعتبر استخدام البحوث الكيفية في المجتمعات المعقدة مناسب، حيث إنّ هذا النوع من البحوث يدرس كيفية العلاقات بين العناصر التي تؤدي إلى السلوكيات الجماعي، وكيف يتفاعل النظام وتشكل العلاقات مع بيئته، كما يعتبر استخدام هذا النوع من البحوث في المجتمعات المعقدة مناسب للأسباب التالية:
  ١. ينطلق هذا النوع من البحوث من نموذج تفسيري يجسد البنائية الاجتماعية ويرى الظواهر الاجتماعية في طور البناء والتشكل فالناس يصنعون واقعهم انطلاقاً من تفاعلهم مع بعضهم البعض لذا لا يتم هذا الأمر إلا بوجهات نظر الأشخاص الفاعلين.
  ٢. بالبحث الكيفي فمنطلق من الفلسفة البنائية الاجتماعية، التي ترى أن هناك حقائق متعددة وأن الحقيقة في واقع أمرها لها مستويات وأبعاد متعددة، وأن المعاني يمكن فهمها من خلال مستويات متعددة عن طريق السياق الاجتماعي.
  ٣. ينطلق البحث الكيفي من حقيقة أن دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية (السلوكية) تختلف عن دراسة الظواهر في العلوم الطبيعية والفيزيائية. لذا فإنها تحتاج إلى طرق بحث مختلفة، يكون التركيز فيها على فهم السلوك الاجتماعي والإنساني من منظور داخلي.
  ٤. يعتبر أن السلوك الإنساني مرتبط بسياقه العام، وأن الوقائع الاجتماعية لا يمكن تصنيفها كمتغيرات على غرار الواقع الطبيعي، مما يتطلب أهدافاً وطرقاً مختلفة في البحث. (ابراش، ٢٠٠٩م، ص ١٠٨).

### العلاقة بين المنهج الكمي والكيفي

تمهيد:

منذ حول البعض الانتباه إلى وجود نوعين منفصلين من المناهج تستخدم في تخصصات علم النفس

العلمي. ومنذ حاول بعض علماء النفس اختبار مبادئ عامة حول السلوك البشري، بالقيام بعملية

توصيف وتفسير وتوثيق الفروق الفردية، ولا سيما فيما يتعلق بالأبعاد المختلفة للقدرة الفكرية والشخصية للإنسان، فقد تولدت أساليب تجمع بين المناهج الكمية والكيفية سميت بالمناهج المختلطة، مع نهاية القرن الماضي، والتي هي عبارة عن محاولة لوضع تقارب منهجي بين الأساليب النوعية والكمية، انطلاقاً من فكرة التكامل بين الأنواع المختلفة من المناهج، حيث نوقشت هذه الأنواع من التصاميم على نطاق واسع في العديد من المنتديات، والمجالس العلمية.

إذ يمكن اعتبار المقابلات والملاحظات تقنيات نوعية، لارتباطها أكثر بالنماذج التفسيرية والنقدية، على الرغم من أن تنظيم المقابلات وتحليلها كثيراً ما يتم بطريقة كمية، حيث يتم جمع البيانات والمعطيات، ثم تصنيف الإجابات وترميزها في شكل رقمي. وبالمثل، فإن الدراسات الاستقصائية تسمح بتقديم إجابات مفتوحة، والتي من الممكن أن تؤدي إلى دراسة متعمقة للحالات الفردية، والجماعية على حد سواء. إلا أنه رغم التطور التاريخي لكلي النوعين من المناهج، فقد كانت المناهج الكمية على الدوام هي التي تهيمن على أشكال البحث في مناهج البحث الكيفية (النوعي).

فقد يبدأ الباحث في المرحلة الأولى بمحاولة استكشاف آراء المشاركين. ثم القيام بجمع البيانات والمعلومات اللازمة التي يتم تحليلها في مرحلة لاحقة، باستخدام الأدوات المناسبة، بعد تحديد المتغيرات التي يحتاج الباحث لدراستها. من خلال الاعتماد على أحد أنواع هذه المناهج أو على كليهما بهدف التحقق من دقة (صحة) البيانات، إذ يتعين على الباحث أن يبقى منفتحاً لكل الاحتمالات وأن يعد صياغة نتائجه بطريقة تعكس الواقع بدقة، والتي على ضوءها تجمع النتائج وتقدم التفسيرات. حيث يؤدي تقارب الأساليب المختلطة المتوازنة إلى شكل من أشكال الأساليب المختلطة النابعة من حاجة الباحث إلى وضع تصاميم منهجية تتناسب ومعطيات دراسته، تتقارب أو تدمج فيها المناهج الكمية والبيانات النوعية، من أجل تقديم تحليل شامل لمشكلة البحث.

إلا أنه لا ينبغي بأي حال من الأحوال النظر إلى المناهج البحثية على أنها فئات جامدة، تتكون من أعداد أو ثنائيات صماء، وإنما هي في الواقع تمثل أهدافاً مختلفة، فالبحث العلمي هو تحقيق منهجي للعثور على إجابات للمشكلة. وقد اتبعت البحوث في مجالات العلوم الانسانية والاجتماعية، عموماً

الأسلوب العلمي الموضوعي التقليدي. ولكن منذ الستينيات من القرن الماضي، ظهرت توجهات قوية نحو نهج أكثر نوعية، طبيعية، وموضوعية. ما جعل أبحاث العلوم الاجتماعية مقسمة بين طريقتين متنافستين إلى حد ما هما: التقاليد.

تنقسم مناهج البحث في علم الاجتماع إلى نوعين رئيسين: كمية وكيفية. وتستخدم المناهج الكمية في إنتاج بيانات عددية أو إحصائية، أي يرتبط مفهوم هذا المنهج بالكم أو الوصف ومدى قابلية الظواهر محل الدراسة للقياس. بينما المناهج الكيفية بصفة أساسية في إنتاج بيانات حول الخبرات والمعاني الشخصية للفاعلين الاجتماعيين. وتعتمد هذه المناهج في العادة على لغة الفاعل الاجتماعي أو على ملاحظة سلوك الفاعل.

يقع المنهج الكيفي عمومًا في إطار المنهج التحليلي المتسم بالعمومية والشمولية، على اعتبار أنه يمكننا القول بوجود تحليل كيفي وآخر كمي.

إذن، مصطلح البحوث الكيفية مصطلح شامل يحتوي على أنماط مختلفة من البحوث في علم الاجتماع منها البحوث الاثنوجرافية، ودراسة الحالة، والبحوث الميدانية، والبحوث الطبيعية (التي تجري في مجال طبيعي)، وبحوث الملاحظة بالمشاركة. وتختلف هذه البحوث عن بعضها البعض في أسسها الفلسفية والتحليلية، إلا أن بينها جميعًا عددًا من المظاهر المشتركة تضعها في تصنيف واحد مقارنة بالبحوث الكمية. (ليفلي، ٢٠١١م، ص ٤٥).

ومع ذلك فإن المنهجين يكملان بعضهما بعضًا، علمًا بأنهما يختلفان في نقاط أساسية، خصوصًا ما يتعلق منهما بموضوعية الباحث ودوره:

١. في البحث الكمي تكتسب استقلالية الباحث عن موضوع البحث قيمة كبيرة، بخلاف ذلك فإن البحث الكيفي يعود إلى الإدراك الذاتي للباحث بوصفه عنصرًا أساسيًا من المعرفة.

٢- إنَّ البحث الكمي يعتمد إلى درجة كبيرة على تقنين البحوث الميدانية، فتكون أسئلة الاستبانة وكذلك الإجابة محددة مسبقًا. أما المقابلات الكيفي فهي أكثر مرونة، وتتكيف مع الحالات المختلفة.

وهناك علاقة بين المناهج الكمية والكيفية من جهة والمنظورات البنائية والتأويلية من جهة ثانية. وبصفة عامة تبدو المناهج الكمية أكثر ملاءمة للبحوث البنائية، والمناهج الكيفية أكثر ملائمة للبحوث التأويلية.

ومع ذلك يوجد تداخل شديد في استخدام المناهج الكمية والكيفية، ما دام علماء الاجتماع يسعون إلى الحصول على كلا النوعين من البيانات. ويستخدم عدد كبير من علماء الاجتماع- وربما معظمهم- هذين النوعين لاستكمال البيانات. (عبد الجواد، ٢٠١٥م، ص٨٨).

### إمكانية الجمع بين المنهج الكمي والنوعي:

يلاحظ أنه يمكن استخدام المدخلين الكيفي والكمي في دراسة واحدة، ويلاحظ أيضًا أن مثل هذه الدراسات التي تعتمد المدخلين معًا عادة ما تصل إلى نتائج قوية، ولكن السؤال يبقى وهو كيف يمكن المزج بين المدخلين؟ الواقع أنه يمكن استخدام المدخلين معًا بشكل تتابعي أو يستخدم معًا وفي النفس الوقت، والبيان كما يلي:

#### ١. استخدام المدخلين الكيفي والكمي بشكل تتابعي

يتم استخدام المدخلين الكيفي والكمي بشكل تتابعي عندما يبدأ الباحث بالمدخل الكيفي أثناء إعداد مشروع البحث حتى يصل إلى صياغة الفرضيات، وعند هذه المرحلة يمكن اختبار الفرضيات بإتباع المدخل الكمي باستخدام عينة أكبر، فعلى سبيل المثال إذا كان الباحث بصدد دراسة إحدى الظواهر التي ترتبط بسياق ثقافي معين مثل تسويق برامج تنظيم الأسرة، فيمكن أن يبدأ بعمل مقابلات مع النساء والرجال في بعض القرى والمدن حول مفهوم تنظيم الأسرة لدى كل فريق وأفكارهم حول هذا الموضوع وتداعياته ثم يصل إلى فرضيات معينة حول الاختلاف بين السياقين

الثقافين ( سياق القرية وسياق المدينة ) وهنا يمكن اختبار هذه الفرضيات على عينة أكبر مستخدمًا المدخل الكمي في البحث.

٢. استخدام المدخلين معًا في الوقت نفسه يمكن استخدام المدخلين الكيفي والكمي في البحث معًا وفي الوقت نفسه في تحديد المشكلة، ويعرف هذا الأسلوب بما يسمى بالتثليث أو المثلية - إن صحت التسمية.

ويقصد بها السياق دراسة الظاهرة الواحدة بأكثر من طريقة، وهنا يتم استخدام المدخل الكيفي لوصف الجانب الوجداني في المجال محل الدراسة، بينما يستخدم المدخل الكمي في قياس المتغيرات الأخرى، فعلى سبيل المثال يمكن أن يشمل الاستقصاء أسئلة مغلقة بجانب أسئلة مفتوحة، ويتم تحليل بيانات الأسئلة المغلقة كميًا، فيما يتم تحليل بيانات الأسئلة مفتوحة، ويتم تحليل بيانات الأسئلة المغلقة كميًا، فيما يتم تحليل بيانات الأسئلة المفتوحة كيفيًا، وسوف يسمح ذلك بوجود حرية أكثر للمستقصي منهم في الإدلاء بإجاباتهم لا يتحياها استخدام المقياس (الاستقصاء) ذو الإجابات المغلقة أو الاختيارات المحددة. (فضيل دلو، ٢٠١٤م، ص ٨٤).



## المصادر والمراجع:

١. ليفي، شارلين، (٢٠١١م)، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ط ١، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
٢. جلبي، على عبد الرازق، (٢٠١٢م)، المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع، ط ٢، دار المعرفة، الإسكندرية.
٣. دليو، فضيل، (٢٠١٤م)، معايير الصدق والثبات في البحوث الكمية والكيفية، مجلة العلوم الاجتماعية.
٤. قنديلجي، عامر، السامرائي، إيمان، (٢٠٠٨م)، البحث العلمي الكمي والنوعي، عمان، دار اليازوري.
٥. أبراش، إبراهيم، (٢٠٠٩م)، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، ط ١، عمان، دار الشروق.
٦. رجب، إبراهيم عبد الرحمن. (٢٠٠٣م)، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، الرياض، دار عالم الكتب.
٧. طابع، سامي. (٢٠٠٧)، مناهج البحث وكتابة المشروع المقترح للبحث. ط ٢، جامعة القاهرة، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث.
٨. التل، سعيد وآخرون. (٢٠٠٥م)، طرق البحث النوعية. ط ١، عمان.
٩. أبو علام، رجاء. (٢٠٠١م)، مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية. ط ١، القاهرة، دار النشر للجامعات.
١٠. عرابي، عبد القادر، (٢٠١٤م)، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، ط ٢، دار الفكر، ط ٢، ٢٠١٤م.
١١. بنمليح، عبد إله، (٢٠٠٦م)، مناهج البحث الإنسانيات والعلوم الاجتماعية البحث التاريخي أنموذجا، القاهرة، دار رؤية.